الفصل 18

تنشيط حياتك بالرغم من العقبات، والارتقاء بها

ستواجه العقبات في حياتك بغض النظر عن مسراك، أو خططك وأهدافك المستقبلية، أو حتى أحلامك، ويتعين عليك – بالنظر إلى أن معظم الناس يطورون في العادة خططا شاملة لتحقيق أهدافهم – أن تعمل لتحقيق كل منها، وأن تطلع باستمرار على اللائحة التي وضعتها لها، وتدخل التعديلات عليها بجانب تصرفاتك، وتقيم مقدار ما تحققه من تقدم، وتحاول الإنجاز بقدر ما أمكنك.

تتمثل الحقيقة في أن الناس لا يضعون أهدافهم في العادة إن لم يدربوا على ذلك، وأن معظم الوالدين والمدرسين لا يطلعون الأطفال على القيمة الحقيقية لتحديد الأهداف، ناهيك عن توضيح أهمية ذلك. يظن الكثير من حديثي العهد بفكرة تحديد الأهداف وجدولها الزمني، حينما يبدؤون العمل لتحقيق أهدافهم ثم تعترضهم العقبات، يظن الكثير منهم أن بلوغها صعب للغاية، ولا يكلفون أنفسهم عناء المتابعة لتقاعسهم عن مجابهة الصعاب، وخشيتهم من الفشل. يتمثل ما يدعو للسخرية حقيقة في أن الكثير من العقبات والتحديات تواجه من لا أهداف لهم من المسيرين على غير هدى، والذين ينحصر همهم في النهاية بمجرد تجاوزها ومغالبتها.

ستواجه العقبات وإن عشت حياتك يوما بيوم دون وجود أية أهداف كبيرة فيها، فلم لا تسع، بما أن ذلك حادث بكل الأحوال، إلى تحديد أهدافك، وإعطاء سبب لما يواجهك من تحديات على أقل تقدير؟!.

ستواجه العقبات وإن عشت حياتك يوما بيوم دون وجود أية أهداف كبيرة فيها، فلم لا تسع، بما أن ذلك حادث بكل الأحوال، إلى تحديد أهدافك؟!.

ستثبط العقبات من همتك بصورة أكبر إن افتقدت الرؤية، والأهداف، والتخطيط في حياتك. يتمثل ما يحط العزيمة على وجه الخصوص في أن مواجهة العقبات - مع الافتقار إلى الرؤية الواضحة، والحافز النابع من الهدف - يمكن أن تولد المزيد من المواقف السلبية كالذي يتبناه الناس، ويقعون في شراكه بسهولة، متمثلا في الموقف التقليدي المكرر: "تحدث الأشياء السيئة لي على الدوام".

*** نصيحة مفيدة: (لا يميز الجهاز العصبي بين الحقيقة والخيال، فتخيل المزيد!).**

يساعد امتلاك الرؤية، وذهنية تحديد الأهداف، ودرجة من التحكم بالذات، على النقيض مما سبق، في إدراك أن العقبات تشكل جزءا لا يتجزأ من الحياة، وأنها تعلمنا الدروس في الكثير من الحالات، أو ما لا يتعدى تقدير بلوغ أهدافنا، ومغالبة تحدياتنا. يحمل إدراكنا للمشكلات، والعقبات، والتحديات، مع ذلك، معنى جديدا للغاية حين نمتلك الأهداف. لا يعني ذلك بالضرورة أننا لا نعاني أو ننزعج من وجود تلك العقبات، ولكنه يؤكد إدراكنا لحقيقة أن امتلاكنا الأهداف والرؤى يفرض علينا السفر عبر المجهول في كثير من الحالات، مما يأتي بدوره بكثير من التحديات المفاجئة التي يتعين علينا توقع حدوثها، وإمكانية فشل ما نضعه من خطط في الكثير من الأحيان لمواجهتها.

يحمل إدراكنا للمشكلات، والعقبات، والتحديات معنى جديدا للغاية حين نمتلك الأهداف.

لو قارنا ذلك بمن يعيشون على غير هدى، فسنجد أنهم لا يهتمون بتحقيق أي نتائج في حياتهم، مما يفقدهم الدافع للتعامل مع المشكلات التي يتعرضون لها،

والتحديات الناتجة عنها، أو إخضاع ظروفهم، ومنعها من السيطرة عليهم. لن يتمكن أولئك، مع افتقارهم لأية أهداف في حياتهم، من تبني الفكر التحفيزي المجابه لما يتعرضون له من مشكلات، بل التقاعس والتباكي على حالهم لا أكثر!.

هل تذكرون حين أخبرتكم في السابق عن صديقي الذي اشترى الفندق المهجور الواقع على مرمى حجر من المطار الدولي، والشاغر لفترة طويلة، ما منع الناس من مجرد التفكير بشرائه؟. لقد مثل شراء ذلك الفندق، والعمل على إحيائه من جديد – بالرغم من معارضة الجميع لتلك الخطوة، واعتبارهم إياها ضربا من الجنون – مثل الكثير من التحديات دون أدنى شك، ولكن صديقي، الوافد الجديد على عالم الفنادق في حينه، لم يسمح لرأي الناس بشغل أي حيز من تفكيره لأنه وضع ذلك الهدف نصب عينيه، واستطاع تجاوز التحديات الناتجة عنه في نهاية المطاف.

ربما تظنون الآن أن صديقي مجرد مغامر طائش نجح في امتلاك فندق صغير لحظه السعيد لا أكثر، وهو ما يجافي الحقيقة تماما لأن من أتحدث عنه هو غوردن "بوتش" ستيوارت صاحب سلسلة المنتجعات الأولى في العالم منذ ما يزيد على عشر السنوات (بما في ذلك "ساندلز، وبيتشيز ريزورتس" الشهيرة). لقد أصبح "بوتش"، كما يحلو لرفاقه تسميته، واحدا من أنجح مالكي الفنادق والمنتجعات في العالم، كما امتلكت شركته أكثر من عشرين منتجعا سياحيا من الدرجة الأولى في الكاريبي (جامايكا، جزر توركس وكيكوس، وانتيجوا، والباهاما، وسانت لوسيا) حيث قدرت قيمة بعضها بما يفوق المئة مليون دولار. لا شك أن الرجل يتمتع بكثير من التأثير في المنطقة، إن لم نقل العالم بأسره، وقد تمكن لوضوح رؤيته وغاياته من اتخاذ القرارات الكفيلة بتجاوز ما واجهه من عقبات، وتنشيط حياته وحياة الآخرين من حوله بالرغم من تلك العقبات.

سيكون بمقدورنا المضي قدما بكل ثقة حين نطور الحالة الذهنية الكفيلة بمنع الآخرين وأفكارنا السلبية من شغل حيز من تفكيرنا، ناهيك عن امتلاك القدرة على التفكير بما يراه الآخرون سخيفا من الاحتمالات أو الأفكار، واعتباره طبيعيا، بل

وقابلا للتنفيذ. سيوجد ذلك عالما من الاحتمالات العملية اللامحدودة، والخيارات المذهلة، عالما لا يستطيع الآخرون رؤيته بكل بساطة.

سيكون بمقدورنا المضي قدما بكل ثقة حين نطور الحالة الذهنية الكفيلة بمنع الآخرين وأفكارنا السلبية من شغل حيز من تفكيرنا.

انتهز الفرصة لقضاء بعض الوقت مع "بوتش" من آن لآخر، ويمكن لأي من يتواجد مع شخص بمستواه، ويطلع على طريقته في إدارة العمل، وعقد الصفقات، أن يلحظ بوضوح أنه، وبعد سنوات طوال من عدم السماح للآخرين أو غيرهم من الأشياء بشغل حيز من تفكيره، أنه نجح في تطوير ثقة هائلة بنفسه مستندا إلى نجاحاته البارزة. يملك الناس في الحقيقة، حين يصلون إلى هذا المستوى، القدرة الدائمة على البدء في مغامرات تجارية جديدة، وابتداع ما هو حديث من الأساليب لإنجاز الأشياء، وانتهاز فرص النجاح التي لم يفكر بها أحد من قبل، وتحويل الأفكار إلى حقيقة واقعة، كما لا يتملكهم الشك بتلك القدرة مطلقا بالرغم من كل العقبات التي تواجههم خلال مسيرتهم.

سيوجد ذلك عالما من الاحتمالات العملية اللامحدودة.

يتمثل ما اكتشفته حين خالطت الناجحين من رجال الأعمال الذين يجنون مئات الملايين، إن لم نقل البلايين من الدولارات، في امتلاك جميعهم مقدارا هائلا من الثقة بالنفس بما يؤهلهم ليكونوا رمزا لها، ويحميهم من الانشغال بآراء الآخرين، وغيرهم من الأشياء. تنبع هذه الثقة في الحقيقة من حرصهم الدائم على إضفاء المزيد من المشاعر والتجارب الإيجابية الجديدة إلى صفحتهم الثالثة في "عملية الخطوات الأربع"، مما يمنحهم وفرة منها. سيؤدي خلو صفحتك الثالثة من تلك المشاعر والتجارب إلى إضعاف ثقتك بنفسك وهزها، ناهيك عن أن مشاطرة الآخرين بما تملكه من أفكار جديدة يمكن أن يزيد من تأثرك بآرائهم حولها، وهو ما يؤدي في النهاية إلى إضعاف شخصيتك، وتفكيرك، ومن ثم نتائجك.

يشكل السير ريتشارد برانسون مثالا عظيما آخر عن تنشيط الحياة والارتقاء بها - بالرغم من العقبات التي تعترضها - بما يملكه من ثقة هائلة، وسجل عظيم من النجاحات في مجال الأعمال، وسمعة ذائعة الصيت كرحالة ومغامر عبر العالم. لقد قام برانسون باستثمارات كبيرة في مجال رحلات الفضاء التجارية، وستكتشفون، إن تتبعتم أيا من مغامراته، أن ذلك الملياردير العاشق لركوب المناطيد، والسيارات المائية لا يأخذ نفسه على محمل الجد، ويملك حسا من المرح في كل ما يقوم به، ناهيك عن ابتياعه ست مركبات فضائية، فكيف بالله عليكم يمكن لأحدهم أن يقوم بذلك لو ترك الآخرين يحتلون رأسه؟!.

ابتاع السير ريتشارد برانسون ست مركبات فضائية، فكيف بالله عليكم يمكن لأحدهم أن يقوم بذلك لو ترك الآخرين يحتلون رأسه؟!.

لا يمكن امتلاك قدرة "بوتش" وبرانسون على إيجاد الرؤى وتحويلها إلى حقيقة واقعة بين عشية وضحاها، بالنظر إلى أن ما حققاه، وغيرهما من النجوم اللامعين في مجال الأعمال، هو عظيم ومذهل كما يقول العديد من المراقبين. يمكن للمرء أن يتفهم هذا التقييم على ضوء تحصيل هذين السيدين لبلايين الدولارات سنويا، ولأن ثروتهما الشخصية تفوق الخيال، ولو تم توجيه السؤال التالي إلى معظم الناس: "هل يمكنك أن تصبح مثلهما في يوم من الأيام؟"، فسيجدون صعوبة كبيرة في الإجابة عنه، بالنظر إلى الفجوة الهائلة بين حياة الطرفين.

يمكن للمرء أن يتفهم هذا التقييم على ضوء تحصيل هذين السيدين لبلايين الدولارات سنويا، ولأن ثروتهما الشخصية تفوق الخيال، ولو تم توجيه السؤال التالي إلى معظم الناس: "هل يمكنك أن تصبح مثلهما في يوم من الأيام؟" فسيجدون صعوبة كبيرة في الإجابة عنه، بالنظر إلى الفجوة الهائلة بين حياة الطرفين.

لا تسمح لتلك الفجوة، مع ما سبق، باعتراض طريقك لأن ذلك يقلل من شأنك وقيمة قدراتك الحقيقية باعتبار أنك تنظر إلى نهاية الطريق لا بدايته، وإليك ما أعنيه بالتحديد: لو تمثل كل ما تملكه في قبو وجهاز كمبيوتر، وطلب منك القيام بطباعة إحدى المجلات الطلابية لمدرستك، فهل يمكنك فعل ذلك؟. أعتقد بالإيجاب، ولكن عدم إتقانك الطباعة أو الكتابة سيدفعك إلى إقناع أحد الطلاب بمساعدتك ليس إلا.

ما رأيكم بهذا السيناريو: هل يمكنكم العمل في بيع مكيفات الهواء؟. حسنا، يقوم بعض من يفتقدون الثقة بقدراتهم في مجال المبيعات بالتشكيك بأنفسهم، فدعوني أجعل الأمر أكثر جاذبية بالنسبة لهم: هل يمكنك بيع مكيفات الهواء إن كنت تعيش في جزيرة استوائية صغيرة، وحارة جدا، ولا يملك إلا القليلون من سكانها مكيفات الهواء؟، وألا تظن في تلك الحالة أنك ستكون في موقع مبيعات أفضل؟.

تمثلت أولى مغامرات ريتشارد برانسون في طباعة مجلة طلابية في قبوه، كما باع "بوتش" ستيوارت مكيفات الهواء في إحدى جزر جامايكا. يرد معظم الناس، حين أسألهم عما إذا كانوا يعتقدون أن بإمكانهم طباعة مجلة طلابية، أو بيع مكيفات الهواء في جزيرة كاريبية، يرد معظمهم بالإيجاب، ولكن يوجد فرق هائل مع ذلك بين تلك الأعمال البسيطة، وما وصل إليه كلا الرجلين في نهاية المطاف. يتمثل ذلك الفرق في ثلاثين عاما من الفكر الاستقلالي، وصنع القرار، ثلاثين عاما من الإيمان بنفسيهما وأهدافهما، ثلاثين عاما من عدم السماح للآخرين بشغل حيز من تفكيرهما.

لو عملت على أي شيء خلال ثلاثين عاما، فلا بد أن تحقق بعض النجاح فيه (وإن لم يصبح الجميع من أصحاب المليارات في تلك الحالة). كثيرا ما ننظر إلى نجاح الآخرين مهتمين بما وصلوا إليه الآن فحسب، ومتعامين عن كل ما مروا به كي يبلغوا تلك المرحلة. أستطيع الجزم بأن ريتشارد برانسون لم يكن يفكر، حين كان يطبع المجلات الطلابية في قبوه، بأنه سيمتلك "شركة طيران، وأخرى ناجحة جدا

للتسجيلات، وستا من المركبات الفضائية" لإدراكه بأن الأمور تحدث بالتدريج لا دفعة واحدة.

يتعين عليك تذكر بعض الأمور بينما تعمل على تشكيل صورتك الأشمل: أولا، ستواجه على الدوام ما لا تتوقعه من التحديات، فتعامل معها، وامض قدما. ثانيا، يتطلب الأمر على الدوام أكثر مما تتوقعه من وقت لبلوغ أهدافك الكبيرة، بل والصغيرة أيضا في كثير من الأحيان، فلا تجعل من جدولك الزمني عائقا لك، وعدل خطتك لتمضي قدما. ثالثا، اعتبر العملية برمتها بمثابة رحلة تقوم بها، فإن ارتبط رضاك بتلك الرحلة عوضا عن الأهداف التي تتوج نهايتها، فسيتحسن كل ما يتعلق بحياتك. أخيرا، لا تسمح لأي مما يوجد خارج نطاق حكمك على الأمور بالتأثير فيك بحيث تتخلى عن أهدافك، واستمع للنصح من أهله، وتجنب التفاؤل اللاعقلاني، وامض قدما في تنفيذ خططك، ولا تدع الآخرين يحتلون رأسك على الإطلاق.

لا تسمح لأي مما يوجد خارج نطاق حكمك على الأمور بالتأثير فيك بحيث تتخلى عن أهدافك.

أجاب ريتشارد برانسون، حينما سئل عن كيفية تعامله مع ما يواجهه من عقبات، قائلا: "أستجمع قواي، وأحاول مجددا بعد إعداد العدة لذلك، متسلحا بما اكتسبته من فشلي السابق (لاحظوا أنه استخدم كلمة "فشل"). لقد علمتني والدتي على الدوام ألا أندم على ما مضى، بل أمضي قدما نحو التالي. أشعر بالدهشة حقيقة من الوقت والجهد الذي يضيعه الناس في التركيز على فشلهم، عوضا عن بذل ذلك الجهد في مشروع آخر. أستمتع بإدارة شركة "فيرجين"، ولا أعتبر الانتكاس بمثابة تجربة سيئة، بل بالأحرى فرصة جديدة للتعلم".

ماذا عن "بوتش" ستيوارت؟. لا أعتقد كذلك أنه كان يفكر، عند تركيبه مكيفات الهواء في بيوت الناس، بأنه سيمتلك "أفضل سلسلة للمنتجعات في العالم، وعددا من اليخوت، والطائرات الخاصة".

يستلزم تحقيق النجاح الوقت، ويمكن أن يعتبر ذلك سببا إضافيا يدفعنا لاعتباره رحلة متواصلة لا وجهة لها، وغير مقيدة بزمان أو مكان. لا ينبغي عليك التفكير بأنك تحتاج ثلاثين عاما أخرى، أو القلق نتيجة بدئك متأخرا، فقد بدأ الكولونيل ساندرز، صاحب سلسلة مطاعم "كنتاكي" الشهيرة للوجبات السريعة، بدأ في مغامرته التجارية تلك بعد بلوغه سن التقاعد. لا بد أن ندرك إذا أن الأمر يحتاج الوقت، وأننا نستطيع البدء في أي وقت كان.

قد يبدو كلامي مكررا، وممجوجا، ومغرقا في التفاؤل، ولكن نجاح أولئك المشاهير في تطبيقه لا يعني عجزكم عن ذلك. من الممكن أن تعتقدوا بصعوبة، إن لم نقل استحالة، بلوغكم مرحلة برانسون وستيوارت الحالية، ولكن ذلك لا يمنعكم من البدء بالطريقة المتواضعة ذاتها التي دشنا بها حياتهما العملية. لم يكن جورج هاريسون، في الحقيقة، يكتب كلمات أغاني فريق "البيتلز" الشهير في البداية، بل كان يعزف ويغني فقط، بينما تولى جون لينون وبول مكارتني كتابة جميعها، إلى أن قال جورج: "أستطيع القيام بذلك إن استطاعا القيام به"، ثم بدأ الكتابة، وجنى المزيد من الملايين.

من يريد أن يصبح ملياردير؟

لا ينكر معظم الناس أنهم يتمنون الوصول إلى مرحلة برانسون وستيوارت، والتمتع بثرائهما الفاحش بما فيه من بذخ، ورفاهية، وامتلاك طائرات ويخوت فخمة، وتمضية عطلات رائعة. أقترح بأية حال على كل من يقرأ هذا الكتاب أن يضع هدف التحول إلى ملياردير نصب عينيه، ولا ينطبق هذا الأمر علي شخصيا لعلمي بالثمن الذي دفعه كلا الرجلين للوصول إلى هذه المرحلة، ولعدم استعدادي لدفع ذلك الثمن. أطمح لبلوغ أهداف مهمة مع ذلك، وأهتم، بالتحديد، بمعرفة ما مكنهما من الوصول إلى ما وصلا إليه دون السماح للناس أو الأشياء بشغل حيز من تفكيرهما. سيمكنني ذلك بدوره من معرفة ما أستطيع إنجازه على الصعيد المهني، والارتقاء بحياتي الشخصية والعملية إلى حيث أريد، وتحقيق ما أطمح إليه طالما

سارت خطتي وفق قيمي، ومبادئي، ومعتقداتي، وتلك العائدة لعائلتي. بإمكانكم فعل الشيء ذاته بكل تأكيد.

لا أطمح بأن أصبح ملياردير لعلمي بالثمن الذي دفعه كلا الرجلين للوصول إلى هذه المرحلة.

لو نجحت في تبني الحالة الذهنية لهؤلاء الناجحين، فستتمكن من شق طريقك، والتقدم فيه، وتحديد ما تود بلوغه في حياتك الشخصية والعملية، وامتلاك السيطرة. سيملأ ذلك حياتك بالإثارة، ويجعلها ذات مغزى بكل تأكيد.

*****

obeikandl.com

● الخلاصة

- لا تعني مجرد معرفتك بكيفية تجاوز ما كان يعيقك بأن كل شيء سيسير بسلاسة من الآن فصاعدا.
- ستتمكن بفعل تحديد أهدافك وبلوغها، والمحاولة المستمرة لتجديد نظرتك إلى رحلتك من البقاء متيقظا، والتقدم في الاتجاه الصحيح.
- يفوت معظم الناس، للأسف، فرصة امتلاك السيطرة على حياتهم.
- لا يعني عدم قيام أي كان بما تود فعله أنه غير قابل للتنفيذ، ويمكن أن تكون أول من يقوم به.

obeikandl.com